ترجمة

› مبارك بوعكاز

الشخصيات.
1. فريدريش أوهمندورف.
2. مارتا زوجته.
3. هانس ابنه.
4. كاترينا خادمة وطباخة مارتا
5. كارل معاونه وصديقه.
6. فالثر سكرتير كارل.
7. البروفيسور لوميان.

نهاية نازي

نور الدين عبة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- مكان الحدث

في بيت صاحب المقام نازي أوهمندوري حيث المكتبة مؤثثة بذوق العصر تأثيثا رفيعا. في وسط العمق باب بردفين تفتح على البهو وباب الدخول.

يسار الباب خزانة بثلاثة أدراج تتربع عليها ساعة جميلة - كبيرة جدا لحد رؤيتها من أول وهلة- فوقها صورة أدولف هلتر في ريعان شبابه توحي بدون شك على أننا عند نازي. على يمين الباب مكتبة ضخمة على عرض وطول الحائط وتغطي تماما جزءا من لوح الخلفية ؛ أما الجزء الباقي من الخلفية تشغله شقة مزججة، التي نرى من خلالها الحديقة ونظرة على المدينة. على الشقة أسترة موصلية بحيث أن أغلبية الإنارة تغطي أغلب الركح. تحت نافذتها هيكل ساند من الخشب يستر المدفأة.

على اليسار في المستوى الأول، باب ؛ غرفة هانس، في المستوى الثاني باب أخرى تضفي إلى مكتب صاحب المقام أوهمندور حيث يعمل ويستقبل الزوار عندما يكون حضوره غير ضروري في الوزارة. بين البابين مذياع مع مكتبة لاقط الصوت -بيكاب- فوقها طاقم قهوة، بجانب صبار. فوقه لوحة منظر طبيعي زيتي.

في وسط البيت أريكة بوسائد من الحرير والقطيفة، طاولة صغيرة جد عادية فوقها مطفأة. في المستوى الأول وفي كل جانب توجد أريكة. في اليمين مائدة عليها جهاز هاتف مضاعف مقرئ موسيقى، ومائدة أخرى صغرى يزينها شمعدان، وعلبة كمان. في الأخير مشكاة وبساط يغطي كل الأرض.

الحدث يجري بمدينة ألمانية في يوم من أيام أفريل 1945، الرايخ الثالث في أواخر أيامه. في الشرق الجيش الروسي يجرف كل شيء أمامه. أما في الغرب قوات الحلفاء تحصد أخر قلاع فارمخت. جو المدينة معارك، نيران وقنابل وطلعات جوية.

في الفصل الأول والثاني ضجيج بالخارج عبارة عن مزيج من فوضى الحرب ؛ صوت سيارات الإسعاف، جماعات زاحفة من الحرب، صفارات الإنذار بعض الصدى في الفصل الثالث صوت دوي القنابل الذي يزداد لحظة بعد الأخرى، دون أن تؤثر هذه الأصوات على الحوار بين الشخصيات.

الفصل الأول

تدق الساعة التاسعة مباشرة بعد رفع الستار. كاترينا لوحدها على الركح، فتاة في العشرين من عمرها، كالفريسة مهتاجة، وفي حالة مابين السراء والضراء. في حركة ذهاب وإياب بين الباب والنافذة. ترتدي نفس العباءة إلى آخر العرض - بسيطة وملائمة لقدها - في لحظة ما تتوقف عن الحركة، بجانب مكتب صاحب السيد أوهمندورف، تسترق السمع، ثم تلتصق مباشرة بالباب.

برهة ويدخل هانس من الخارج، يرتدي في هذا صباح بدلة مدنية عادية. أشعث أغبر كمن بات ليلته في العراء.

- كاترينا : وأخيرا هاأنت!
- هانس : (يسقط على الأريكة.) : كانت ليلة ليلاء، ياكاترينا!
- كاترينا : (ترقبه بشده) : يا إلهي! في أي حلة دخلت! يا هانس!
- هانس : سأخبرك فيما بعد : ليلة مدوخة!
- كاترينا : (مشيرة الى مكتب السيد أوهمندورف.) : أقل مما سأخبرك به؟ أمك هناك!
- هانس : ماذا؟ هناك؟
- كاترينا : هناك مع والدك، في مكتبه!
- هانس : أتمزحين؟
- كاترينا : إنني جادة!
- هانس : ما الذي دهاها؟
- كاترينا : بسببك!
- هانس : بسببي؟
- كاترينا : كانت مشغولة بقصف البارحة الذي لم يتوقف أبداً. لقد انتظرتك للصبح، منذ اللحظة فقط.... لقد أنهكتني، حاصرتني بوابل من أسئلة، لا يهم! ومن أجل ربح الوقت والراحة قلت لها بأنك خرجت لتوك، وبأنك كنت مع والدك، غير أنها أصرت على عدم الذهاب حتى تراك؟
- هانس : النوازل عجماء! خاصة بعد ما حدث لي البارحة.
- كاترينا : ما الذي حدث؟
- هانس : كارثة ربانية!
- كاترينا : فيما يخص البارحة، لقد هتف كارل أراد التأكد من وجودك بالبيت.
- هانس : (في تساؤل) : وما الذي قلته له؟
- كاترينا : وماذا تريد مني أن أقول له؟ لقد كذبت بكل تأكيد، قلت له بأنك كنت هنا، مرهق ملقي على السرير.
- هانس : أصدقك؟
- كاترينا : بكل تأكيد، الآن مع أمك ..فقط...
- هانس : (يتخذ قرارا مفاجئا.) : طيب، اسمعي لا نضيع الوقت، حاولي إخراجها الآن.
- كاترينا : أتريد مني أن أخرجها، أنا؟!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ هانس : للضرورة أحكام!
ـ كاترينا : هانس أنا خائفة!
ـ هانس : يجب أن تذهب إلى غرفتها، ريثما أغير ثيابي، وسأكلمها فيما بعدها. يجب ألاّ تعرف بأني قضت ليلتي خارج البيت. أفهمت؟ وإلاّ سيحدث ما لا يحمد عقباه!
ـ كاترينا : (تتجه بعض الخطى نحو الباب.يخرج هانس بسرعة، تتراجع كاترينا نوع ما، ثم تسترق السمع.تتربص الوقت المناسب للدخول. يدخل كارل من الخارج.برتبة عقيد وضابط في المخابرات العسكرية الألمانية، لكنه طوال العرض ببدلة مدنية. رجل قوي البنية عريض المنكبين، بوجه سنح، ولكن حيوي وبعيون شفافة، غير أن هذه الطباع لا تجعلنا نعتقد فيه نقاء السريرة التام.)
ـ كارل : (خلف كاترينا.) : ماذا تفعلين هنا ؟
ـ كاترينا : آه... أنت ترى... التنظيف!
ـ كارل : التنظيف...! فلتخطفك الجنية إلى قلب المعارك في ألمانيا! أتدرين ما الذي ينتظرك وأنت تسترقين السمع، خلف مكتب وزير الرايخ، أيتها الحمقاء؟
ـ كاترينا : صفعتان إن مرتا بسرعة.
ـ كارل : (يكبح رغبته في صفعها.) : أغربي عن وجهي قبل أن...(يديرها، تتجه نحو غرفة هانس. تتأهب للطرق عليه.)
ـ كاترينا : (مسارعة) : لقد خرج هانس!
ـ كارل : (يتجه نحوها) : ألم أقل لك البارحة في الهاتف لا يغادر البيت قبل رؤيتي؟!
ـ كاترينا : قلت له ذلك، حتى هو كان متلهفا لرؤيتك، فأراد أن يفاجئك بحضوره في الوزارة.
ـ كارل : أمنذ مدة؟
ـ كاترينا : آه... لا. أعتقد أنكما تقاطعتما في الطريق.
ـ كارل : (يتجه نحو الهاتف يشغله.) : ألو! هنا كارل... مرر لي أمين سري... إيه طيب، اذهب وابحث عنه!...
ـ كاترينا : (تقف كالواثق من نفسه) : من اليوم، نحن بدون خادم ولا طباخة. لقد قصف بيتهم البارحة. لقد أخبروني للتو بأنهم محصورون في أقبيتهم.أتوقعت هذا؟ لذا أنا ملزمة للقيام بكل شيء في هذا البيت. (تقدم له فنجان قهوة وهي تتحدث). أكيد أنت محتاج إلى فنجان قهوة؟ وقطعة حلويكعادتك : حلويسويدية بالتفاح وثمرة الونيلة. شره كما عهدتك.
ـ كارل : (مرتاب) : أنت محترسة على غير العادة هذا اليوم!
ـ كاترينا : أنا؟ بل هي عادتي.
ـ كارل : (يتبعها بعينه.) : بل أجدك على العكس تماما.
ـ كاترينا : التعب، لم ننم طوال هذه الليالي من جرّاء القصف المتواصل(فجأة في محاولة منها لإلهائه.) تذكرت عندي شيء لك.(تتجه نحو المكتبة تخرج منها كتابا تورقه وتمد له صورة.) هاهي صورة الحرس القديم والمرشد! لقد وجدتها بنفسي.
ـ كارل : يا سلام : اعتقدت أنها ضاعت. أين كانت ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- كاترينا : في النسخة التي أهديتها لهانس.
- كارل : واستطاع هانس الحفاظ عليها. إنها الصورة الوحيدة لوالده ولي مع المرشد.
- كاترينا : والده؟ أين تري السيد أوهمندورف
- كارل : فريدريك هنا، في الجهة اليسار من رودلف هييس، هنا أعرفتنه؟ هنا جيوبلز جورينغ، ريهم، أهي، أريد قول هتلر ثم أنا.
- كاترينا : كنت جميلا وقتها!
- كارل : أليس كذالك؟ كنت وقتها محام شاب .لم تمر مدة ذات بال على مغادرة الفيوهر للجيش، لم نكن تجاوزنا بعد الثلاثين! (يتحدث في الهاتف) نعم لن أغادر .(يغير من نبره، ثم إلى كاترينا.) نعم... بخصوص البارحة حينما حادثتنني في الهاتف، أتمنى أنك قلت لي الحقيقة كل الحقيقة، نعم؟ أكيد، هانس قضى ليلته بالبيت؟
- كاترينا : كم من مرة يجب أن أكرر لك.
- كارل : إني أريد التحقق من ذلك، يعتقد أنهم رأوه بالمدينة البارحة : في المسرح المحول، وقت القصف. لقد قامت المخابرات بعملية تفتيش ووجدت بالصدفة اثنين من الفارين منذ شهر، وحسب شهادة المفتش أن فرارهما كان بمساعدة من هانس.
- كاترينا : هذه حكاية جديدة! ما دخل هانس بالقضية؟
- كارل : أنا نفسي أتساءل!
- كاترينا : من أن لك هذا القيل والقال؟
- كارل : من بيتز شخصيا!
- كاترينا : أه! هذا اللعين، ماذا تنتظر لردعه؟
- كارل : أنت تعرفين من هو بيتز؟
- كاترينا : واعرف أيضا من هو كارل، من يكون هذا بيتز .مخابراتي قديم أصبح رئيسا للغستابو، أم تراني أتحدث عن صاحب المقام؟
- كارل : تماما مئة وخمسة وعشرون كيلو من الحثالة. من المفروض أنني أفرغت دن الشحم ذاك منذ زمن .لولا حماية عميد المخابرات له.
- كاترينا : السلطة العليا هنا، والتي لا تأخذ أوامرا إلا من المرشد، هي أب هانس.
- كارل : نعم، إنه فريدريك.
- كاترينا : طيب، وأنت قائد القيادة العليا له، ساعده الأيمن، إذن من يكون بيتز هذا بالنسبة لك؟
- كارل : الأمر معقد بالنسبة لك! (في الهاتف.) ألو!.. نعم، أنا هنا... أه! أأنت والتر؟.. سيأتي هانس إلى المكتب، بمجرد وصوله ابعثه للبيت .هل لديك معلومات عن الفارين ؟... اتيني بها المعلم وأنا نعمل هنا الآن... (يقفل السماعة يتأهب للخروج) بمجرد دخول هانس أخبريني.
- كاترينا : لكن..كارل..
- كارل : (آمرا.) : نصيحة، يا كاترينا : عليك أن تنزوي في ركن ما ولا تتحركي، أفهمت؟ الوضع جد خطير، إننا نحارب على بعد خمس كيلومترات من هنا، إذن؟(يديرها.)
- كاترينا : (متسرعة.) : كارل! صاحب المقام ليس وحده، السيدة معه!
- كارل : (كالمنزعج.) : هذا! (يستدير.) مارتا هنا؟ مع فريدريك؟... لا.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أتمزحين؟

ـ كاترينا : أتمنى ذلك!

ـ كارل : لم يكن ينقصني إلا هذا! لا تنزل الكوارث فرادتي أبدا. (يستدرك رباطة جأشه.) النكبة!

ـ كاترينا : إنني جد خائفة!

ـ كارل : هذا دأبهم! (وقت) في المرة الأخيرة لما تحدثا معا، تبا!... كان من أجل إعفاء هانس من الذهاب إلى الجبهة، باعتباره الابن الأوحد لعائلة قيادية، أتتذكرين هذا، هذه المرة فريدريك وأي كارثة عندما تعرف أن ـ هانس يعمل مع لوفتفافت! (وقت) هل هي التي ذهبت إليه؟

ـ كاترينا : أنت تعلم، أنا!...

ـ كارل : أنت تعرفين كل شيء في هذا البيت! أه! لا يمكن أن أهضم هذا ولو عرضا!

ـ كاترينا : طيب، هي!

ـ كارل : لماذا؟

ـ كاترينا : صدفة!

ـ كارل : صدفة!

ـ كاترينا : هذه عادتها؟ لا تفقه أي شيء... لم تكن إمرأة إلا في مرة واحدة في حياتها، طبعا.. بمفهوم إيجابي (كارل ينظر إليها كمن لا يفهم شيئا.) أرجوك افهمني : إ.. ي .. ج ..ا ..ب ..ي..ا.

ـ كارل : جفوهل، بالتأكيد! (مغيرا من لهجته.) أتستهزئين بي! (متحسبا لجوابها) تعالي هنا، عندما دخلت وجدتك منهمكة في التنظيف، يجب أن يسقط في أذنك قليلا من الغبار؟

ـ كاترينا : الشيء القليل، لقد تكلمنا عن النصر.

ـ كارل : أي نصر؟

ـ كاترينا : نفس الحكاية!

ـ كارل : نصر فريدريك الأكبر؟

كاترينا : ألم تعد مع هذه الحرب التي كانت تستأثرك، أنسيتها؟ لقد بنت هانس، وصنعت منه مسيحا مؤمنا، قاومت لوالده، وكل أفكار وأشياع الشبيبة الهتليرية، المهم حثالات الملاحدة على حد تعبيرها.

كارل : هذه القصة قديمة جدا، ولا أعتقد أنها ستعود لها.

كاترينا : أنت لا تعيش معها!

كارل : بجد، هل ذهبت له من أجل هذه الحكاية.

كاترينا : متهكمة : لا. ولكنها تحدثه، تعتقد بأنها ستهزم الألمان برمته، لأنها استطاعت أن تحفظ إيمان هانس. من كثرة ما عاشت عيشة الدير، في غرفة تشبه الكنيسة، أصبحت...

كارل : بشدة : أتتحدثين عن خالتك كاترينا!

كاترينا : بعنف مفاجئ : خالتي! من فضلك! لا تهن أرسطوقراطيتها البروسية! وأنا لست أكثر من طباخة نطاعة، أتت بي من دار الأيتام، بشفقة منها.

كارل : لم أعرف من قبل بأن لك مثل هذه المخالب، تكلمي؟

كاترينا : مهاجمة : لم أخرجها كلها! انتظر! سيأتي يومها! (تشير

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بإصبع إلى المكتب.) سأبدأ به!أما فيما يخص خالتي، ستعرف أي نوع من البشر أنا ؛ ستعرف التمثيل بإلهتها "حلجا".-

كـارل : لماذا؟ أأنت مغرمة بهانس؟

كاترينا : (تستدير) أنا؟ أعتقد أن هؤلاء المجنونين لا يحدثان له الغثيان؟ ثم ما قلته يجافي الحقيقة.

كـارل : ألهذا الحد لا تستطيعين النظر إليّ!

كاترينا : (تستدير منتفضة.) وبعد؟ أليس من حقي؟ كما أني جد فخورة كوني ثرثارة وقروية، هذا لا يمنع من إكتسابي لشجرة نسب، مثلهم. أتريد أن تراها؟ شجرة نسب بدون أي أصول مخزية.

كـارل : تعالي!

كاترينا : ماذا تريد؟

كـارل : تعالي! هذه القهوة التي قدمتها لي بالحلوى السويدية.هه؟ والصورة التي وجدتيها بالصدفة؟ إن في الأمر إنّ! (بتسلط.) لا تتحركي من هنا!

يتأهب للخروج عند ما تظهر زوجة فريدريك من الجهة اليسرى. نوع من العظمة والجلال في سلوكها وطريقة حديثها. وجهها جلي وجميل، غير أن أثار الكبر واضحة عليه.لا ترتدي الحلي ولا تزاويق، تلبس عباءة سوداء عادية. يراها كارل يتوقف، تتجه نحوه بوجه جهم.كاترينا مضطربة، تهم بالخروج، غير أن مارتا تناديها.

مـارتا : إبقي هنا!

كاترينا : أريد أن أبحث عن هانس.

مـارتا : أرجوك ابقي هنا! أراضية أنت؟ (كاترينا لا ترد.) إيه طيب؟... تكلمي؟!! (كاترينا لا ترد، إلى كارل.) من قليل كانت تهذي بكل ترهاتها تموء كالقطة، أنظر إليها الآن ،كالحجرة المجتثة(تعود لكاترينا.) لقد حققت كل مبتغاك، أنا أعرف الآن بأن هانس فقد كل إيمان..

كاترينا : (تبقى جامدة.) ماذا تقولين؟ فقد هانس إيمانه؟ (فجأة تغمرها فرحة طفولية.) لقد أصبح هانس رائعا! آه! رائعا! (تقلد مشاجرة بين مارتا وفريديرك.)هانس لي!؟ لا لي أنا!؟ سأجعل منه راهبا؟ لا جنديا!؟ لا زعيما!؟ الدم!؟ المسيح!؟ (تغير من نبرتها، وتعابير وجهها) في الحقيقة هو ليس لك ولا لوالده، ولا لأي أحد منكما. إن هانس غير ما تريدونه له، هو بكل بساطة لشخصه؟ (تصفعها مارتا).

كـارل : (كاترينا) إنزاحي!. أنا مغتم، مارتا! بكل صدق، لما ذهبت لفريدريك؟

مـارتا : أنت أيضا علمت أن هنس فقد كل إيمان؟

كـارل : أنا أول من عرف، مارتا...

مـارتا : لماذا خبأت عني أمره؟

كـارل : هناك أشياء من الصعب قولها.(يغير من نبرته.) الخلاص أمر شخصي ولا أعتقد أن هانس في حاجة إليك ولا إلى والده، في هذا الأمر!.

مـارتا : (كلب غوته) : هاهو يكبر وينتفخ!ما تنبأت به، وظننت، قد حدث! (بعنف وبإصبع موجه لصورة هتلر). ليس بحاجة إليّ ليجد ايمانه؟ هناس كان مجرد طفل عندما ظهر ت لعنتكم، ناسفة أعماق البراكين!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كـارل : (ينظر إلى المكتب) مارتا احذري!

مـارتـا : هانس هذا ليس بحاجة إليّ ليوقر إيمانه؟... الشعب، الرايخ، الزعيم، كل الأرواح المستحوذ عليها من طرف هذا المدعي! معتقل اليهود دنّس الكنائس! حرقُ الكتب! ابتلع غوته، براهم، بيتهوفن، أثمن ما نملك، أجساد وممتلكات. رغم كلّ هذا وتقول لي : هانس ليس بحاجة إليّ ليوقر إيمانه؟

يدخل هانس من العمق. يرتدي بدلته العسكرية، يختلف تماما عن الشاب الذي رأيناه من قبل. إنه الصورة المثالية للجنس الآري بكل إغراءاته. بعيون ذات رقة مدهشة، تخترقها عظمة شاب واثق من نفسه، تقترب منه مارتا، تقدّه.

أكيد إنك كبير وقوي جدا، كي يتجاوز الرب! زخرفة بشرية رائعة من نظامكم! لم أر أبدا آريا مثله. (ثم بجفاء إلى كارل.) أتركنا لوحدنا.

كـارل : اسمحي لي أن أطرح سؤالا أو سؤالين على هانس.

مـارتـا : أتركنا لوحدنا!

كـارل : الأمر في غاية الأهمية مارتا.

مـارتـا : (آمرة) أخرج!

كـارل : طيب! (إلى هانس.) انتظرني، يجب أن أتحدث إليك (يبتعد وقبل أن يخرج) بحق الرب عليك، مارتا، احذر مما تقولين! نحن فوق مخزن بارود وأية شعلة ...(يخرج)

هـانس : كارل محقا يا أمي، الوقت غير ملائم!

مـارتـا : (تذهب إلى النافذة وتنظر إلى الخارج) لماذا الوقت غير ملائم؟ ألسبب هذا؟ كل هذه البيوت التي تشتعل، كل هذه الآثار، كل رماد فارمخت المرمي في كل جانب، جعل النازية عبدا متقدموت خدام للمنتصرين.

هـانس : أماه، تستبقين دوما الأحداث ألم أقل لك بأن لدي اهتمامات أخر، ثم أرجوك لا تزيدي الطين بلة! (يحاول التهرب) تعالي لا نبقى هنا.

مـارتـا : لا تلمسني!

هـانس : (ينظر إلى المكتب.) هيا بنا!

مـارتـا : (تصرخ.) لن يحدث لي أكثر مما حدث، هانس! لقد فقدتك!

يظهر فريدريك على اليسار. يرتدي بذلة مدنية بإشارة القراصنة رجل في الخمسينيات من عمره، له سنحة وزير إتباعي. تظهر من سلوكه الآميرية بنبرة خاصة في بعض الأحيان، في نظرته نوع من التأني. يظهر طبعه الصبور القوي والغامض في ذات الآن.

فر يدريك : (من المدخل دون أن يظهر.) قليلا من الهدوء، نحن نعمل هنا!

هـانس : عذرك أبي، سنغادر.

مـارتـا : لا! لن نغادر!

هـانس : أرجوك أمي، اسكتي!

مـارتـا : لن أسكت!

هـانس : أرجوك!

مـارتـا : (ترفع من صوتها) لن أسكت! أمام هذا الوحش الذي نهش

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أوربا. كيف تريد مني أن أسكت؟ بالعكس بل اليوم، يوم بهجة! أخيرا نستطيع أن نفتح النوافذ ونرمي القلق والسأم إلى الجحيم! بإمكاننا أن نغني، نضحك، نمشي دون أن نخاف من أن نسحق. ونوجه أصابع الاتهام إلى القتلة، بل ونبزغ على وجوههم!(يدخل فريدريك)

فريدريك : (ببرودة) قلت كل ما كنت ترغبين في قوله؟ طيب! سأمهلك نصف ساعة لمغادرة هذا البيت.

هانس : أبي أنت لست جاداً فيما تقول.أين ستذهب في هذا الظرف؟

مارتا : سأغادر نعم سأغادر! أتعتقد بأنك ستعاقبني؟ بالعكس، لقد حررتني! لم يبقى لي ما أفعله هنا. لكن قبل هذا أنا متمسكة بأن يعرف هانس الحقيقة. (يستدير فريدريك للخروج) كل الحقيقة!

فريدريك : حقيقة امرأة مهووسة بالإنجيل! زوجتي المسكينة! (تقطع عليه الممر) أرجوك لي مشاغل،غير هذا الهراء!

مارتا : لا الأمر أهون مما تتصور! أتريد أن تسكتني (تصرخ) لا فريدريك! أريده أن يعرف من الأول الذي وضع بيننا هذه الفجوة...

فريدريك : لا أنا ولا أنتي نادم على ما حدث، فلما نرجع الحديث؟

هانس : هون عليك، إنها تكلمك بهذه الطريق، من هول آلامها فقط، أبي!

فريدريك : أرجوك لا تتستر عليها!

مارتا : (بعناد) الحقيقة! يجب أن يعرف هانس ثمن تحملي من أجله!

فريدريك : ما الذي تحملته من أجله؟ وحدتك؟ أنت التي أرادت ذلك، لم يفرضها عليك أحد. مادمت التزمت مكانك، احترمت موقفك. لقد كنت جد حذرا معك، لقد حققت لك كل ما ترغب فيه النساء في منزلك، ولكن مع جلجلة التضحية الرابضة بذهنك!...

مارتا : أتدري لما تزوجني والدك؟ لأجل أن يكون أسرة؟ لا، بل لكي ألد له ولدا، أقول ولدا ليس اثنان! إعتقدت أنني كنت محبوبة ومحبة! لكنه أراد حاملة، من نسب رفيع، أرض خصبة. أفهمت؟ ثمرة جهاز المخابرات، كل شيء عندهم محسوب بدقة، لا مكان للمجان والصدفة في قاموسهم!

فريدريك : (ذاهبا) هذا يكفي! إذا كان هذا التهريج يعجبك هانس، أما أنا لا وقت لدي.

هانس : أتساءل من أين اكتسبت قوة الاحتقار هذه؟

فريدريك : (قبل أن يخرج يستدير) الأمر بسيط. ما عليك إلاّ أن تنظر إليها. أ أمّ هذه؟ ليست حتى امرأة، عليك اللعنة! أيتها الراهبة!(يخرج).

مارتا : ليس احتقارا هانس!بل هو الحقد.لا يكرهني إلاّ لأني موجودة من أجلك.أنت متاعه، متاعه العيني.

هانس : معذرة أمي!

مارتا : لما تعتذر لي؟ لأنني إمتنعت عن أي تمتع ببهارج الحياة من أجلك؟ أم لأني بقيت هنا، رغم المدّ والجزر. يجب أن تعلم بأني تحملت كل هذا العنت لأحافظ عليك فقط. وفي الأخير أطرد كالمتشردة ؟

هانس : هذا فشلك أمي ليس فشلي. نعم فشلك! أنت التي اخترعت هذه اللعبة الفظيعة : من يربح فكر، قلب، وروح هانس؟

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

فريدريك : لا تنظر إلى هكذا، إنها نظرت والدك، وأنا أكره هذه النظرة، وهذه الابتسامة الفجة أيضا.

هانس : أه! حتى الضحكة!

مارتا : اضحك، نعم اضحك! على كل الرب، لم يفقد إلاّ مجرد جلاد مساعد!

هانس : (بأنفة) أتضنين أني صبأت من أجل ... (فجأة يغير من نبرته) أتتذكرين فيسلر؟

مارتا : عائلة فيسلر؟

هانس : عواد فرانكفورت، جيراننا القدامى.

مارتا : أعرفهم. ولكن لما تكلمني عنهم؟

هانس : لقد ذكرتني بهم، أتتذكرينهم؟

مارتا : كيف أستطيع نسيانهم، الأم فيسلر المسكينة، رمت نفسها تحت قطار، وبعد أيام تم نفي زوجها وابنها بتهمة... لم أعد أفهم شيئا. في الحقيقة لأنهم يهودا. ولكن لماذا؟..

هانس : أتتذكرين فسلر الصغير؟

مارتا : كيرت، بالطبع.

هانس : (بصوت غريب) وجه نحيف، مليء بالبقع الحمراء، وعيون نبشة...

مارتا : ماذا بك؟ لما هذا التجهم؟

هانس : لم ينفيا أمي. لقد ماتا في نفس أسبوع إعتقالهما.

مارتا : من أين لك هذا؟

هانس : بالصدفة. لقد أخذني يومها كارل إلى مقر الغستابو. لقد تهت في أروقة البناية من غرفة إلى أخرى إلى اللحظة التي أيقنت فيها... اللحظة التي رأيت فيها السيد فيسلر يعذب في ابنه.

مارتا : ما ذا تقول؟ السيد فيسلر، ابنه، لم أفقه شيئا!

هانس : أتفكرين في طيب القلب، غير المبالي، السيد فيسلر في صورة طالب الرحمة، المسكين السيد فيسلر! لو تعلمين ما الذي فعلوه به في مدة أسبوع!

مارتا : مستحيل، هانس، أمر لا يصدق!

هانس : لو رايتيه في تلك الصورة لن تعريفه، رجل ضائع، خاو، مجرد ضالة على زلاجة في يد ثلاثة جلادين يعبثون بها، لتبرير وحشيتهم، لدرجة أنهم لا يدرون ما يفعلون به، ولكنهم يفعلون.الوحيد الذي يدري الصغير فيسلر. كان يدرك للنخاع بأن أباه يعذب.

مارتا : (تصرخ) لا، لا، لا، أسكت!(وقت.) عزيزي هانس، أرأيت هذه الفظاعة؟ أعرفت هذه الهمجية، هذا الدوار الذي بمجرد سماعه ارتعدت له فرائسي؟ (تمرر يدا حنون على جبهته)

هانس : ساعة! حدث كل هذا في ساعة! (وقت) أتعتقدين بأن الرب كان حاضرا، في الوقت الذي كان فيه كيرت...

مارتا : (تقاطعه مترجية.) هانس!

هانس : حاضرا أم غائبا؟

مارتا : أية أهمية أن يرانا الرب أم لا! المهم أن نكون نحمله في

قلوبنا، هذا الأهم.

هانس : حاضرا أم غائبا؟ حاضرا أم غائبا؟ أجيبي؟

مارتا : حاضر بكل تأكيد!

هانس : إذن ماذا فعل؟ أكان مشلولا؟

مارتا : كان الرب في قلب كيرت : كان حضورا نورانيا.

هانس : لماذا مجرد حضور نوراني، حينما كان يجب أن قاسيا؟

مارتا : غضب الرب لم ينزل على الجلادين؟ لكن الأكيد أن كيرت انتقل إلى ربه باليقين...

هانس : (يكمل.) ربما يدخل الجنة؟ أية جنة تريدنها لصبي مات مأروبا؟ محرقا بالضنك وبيد والده؟

مارتا : هانس، أرجوك أن اسكت!

هانس : نعم أحرق بالحديد المصهور، وبيد أبيه، كنت هناك متجمدا، منكمشا وأنفاسي تكاد تنقطع، أنتظر في الفرج... شيء ما بداخلي يصرخ، كالصغير فيسلر، صراخ إلى الرب بلا نهاية! لا شيء غير جلبة الكراسي والصمت. حتى عندما أخذني كارل إلى الكنيسة، كنت أعتقد.. ولكن لا شيء من أجلي ولا من أجل الصغير فيسلر.

(يدخل فريدريك من اليسار يذهب مباشرة إلى قارئة الأسطوانات، يملأ فنجان قهوة، كعادته يذوقها ثم يأخذ مؤلفة)

مارتا : تبحث عن إشارات، يكفيك أن تصمت وتصلي.

هانس : صليت أكثر مما تتصورين غير أني لم أستطع التخلص من اليقين الذي سكنني من أعين الصغير فيسلر : لاشيء غير جلبة الكراسي!

مارتا : ها أنت معزوق، مغناظ، مقتاظ للنحاع، لم تعد الحياة تدب فيك، بل لم تبق فيك مملة حبة واحدة للرب كي يولد منها الأمل جديد، أي عيشة ضنكا، ستعيشها بعد الآن؟

هانس : إني أتساءل! مثلك، لا الرب ولا الشيطان يستطيعان تحديدها.

مارتا : لماذا قلت هذا ؟ لماذا ؟ (وقت) تمر بي بعض الساعات أحس فيها بأني مجرد عجوز تنتظر الموت بغتة، لن أعرف الراحة إلى الأبد، أبدا! (تحدق إلى فريدريك بشنج وبنوع من العدوانية) ظننت أنها نهايته لكنها ما هي إلاّ بداية حكمه! لم يدمر ألمانيا، سحرة الرايخ الثالث فحسب بل غزو أوربا، وأحرقوا السماء، قتلوا الرب، أعدموا الرجال، ضيعوا العالم! يمكن الآن أن يختفي الوحش، بذرته سيذرها الريح! أنني أرى بأم عيني : هول حصاد من يزرع الشر. أراه كأمواج عارمة تتكسر على أسوار المدن، تغشي على الأحياء، تحتل القارات، بل تنزق الأرض برمتها! (ثم إلى هانس) ماذا تساوى حياتك الآن؟ ما عليك إلاّ أن تهبها له!(تخرج مسرعة).

هانس : لماذا قلت لها بأنني ألحدت؟

مارتا : لست من فتش عنها، هي التي أتت إلى مكتبي تفرغ في ترهاتها الرهبانية.

هانس : كان بإمكانك أن توهمها، ولكن لما استغليت الفرصة؟

فريدريك : لم أستغل الفرصة، بل جاءت في ثنايا الحديث، لن تستطيع تصور؟...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هـانس : لا أتصور أي شيء، بل أؤكد : كان من السهل عليك ألاّ تقول لها أي شيء، غير أنك قلت!

فريدريك : أتعتقد بصدق : أنه بالإمكان السماع إلى أمك دون أن تقول لها أي شيء؟ تصور كل الطلاوة التي قاطعتني بها، بأحجيتها المعتادة : تضحياتها، وحنوها..

هـانس : كما يوجد الحنان الأبوي أيضا، يا أبي؟

فريدريك : حناني أنا على الأقل أتجنب فيه اللطف المتكلف، ثم لما تقل لي كل هذا الكلام؟

هـانس : هكذا.

فريدريك : ما ذا يحدث هانس؟ هل تخبئ عني شيئا ما؟

هـانس : إني أتساءل أيضا ما الذي يمكن أن أخبأه عنك؟

فريدريك : لا ندري؟هذي الحياة فيها : الحب، الصداقة...

هـانس : (بنوع من التهكم الخفيف) الحياة! حرب في كل الآحايين، غير أنها تلزم نوعا من الولاء، الوفاء التام أتجاه المرشد،والأهل. الصداقة لمن يستأهلها، أما الحب فإننا لا نعرف قيمته إلا بعد فوات الأوان : المضاجعة تكفي. أترى، إني أحفظ ما علمتنيه عن ظهر قلب؟

فريدريك : غير أنني أحس فيك تغير ما منذ رجوعك.. تبدو لي متوتر الأعصاب، وشاحب الوجه. أليس بسبب الجرح؟

هـانس : لا، إني تعافيت تماما. (يغير الحديث.) فيما يخص هذا الأمر. هلا فكرت في تحويلي؟

فريدريك : لحد علمي : عطلتك المرضية لم تنتهي بعد؟

هـانس : لا، أبي بل انتهت منذ أسبوعين.

فريدريك : أمرت ثلاثة أشهر على الأقل؟ لم أشر بها. سأفكر في الأمر الأيام القليلة القادمة.

(يدخل ولتر، من اليسار، يحمل في يده وثائق، رجل مدني بوجه منبوش : يرتدي بدلة خشنة لكنها نظيفة. ألماني من الطبقة المتوسطة، مثال الموظف الجاد، نزيه، ومطيع)

ماذا وراءك ولتر؟

ولتـر : معذرة سيدي الوزير، لقد أكدت لي برلين أن ملازمك المكلف بالتنسيق، لم يظهر منذ يومين.ولا حتى في الندوة الصحفية الخاصة بالأسلحة التي يعقدها حضرة المرشد.

فريدريك : أبعث له رسالة. ألا يوجد شيء آخر؟

ولتـر : (يفتح ملفه، ويقدم الوثائق الواحد تلو الأخرى) أما هذه سيدي الوزير ليس لدي عليها أي تعليمات!

فريدريك : (بعد أن ألقى نظرة خاطفة على الوثائق) أجب، وما عليك إلاّ أن ترسلها للمرشد ليتخذ فيها قراره. أطلب جواب من الهملر .. ماهذا؟

ولتـر : مذكرة حضرتها لفخامة كارل، بخصوص مطاردة رجلين من طرف السيد بيتز، اللذين يبحث عنهما الغستابو في أكثر من شهرين.

فريدريك : وهل ألقى القبض عليهما؟

ولتـر : للأسف هذه المطاردة تمت في المسرح المحول وقت القصف،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقد أخطأهما السيد بيتز بهفوة. غير أن الهاربين لا يمكن لهما أن يبتعدا. لقد جرحا جراحا بالغة أثناء المطاردة.

فريدريك : وفيما تهمنا هذه القضية؟

ولتر : كبير المخبرين كارل يعتقد بأنه بإمكانه التعرف على ثالثهما، أي من ساعدهما على الفرار.

فريدريك : ألا يوجد شيء آخر؟

ولتر : الجنرال جنستاين، حضر للتو.غير أن السيد كارل لم يحضر بعد. إنه عند السيدة حرمكم.

فريدريك : طيب، سآتي فيما بعد (يخرج ولتر) سنتمم نقاشنا فيما بعد (قبل أن يخرج) هانس فلتبقى أمك في البيت. هذا من أجل إرضائك فقط. ولكن بآدابها بروسية. (يخرج. هانس يتردد لحظة ما. ثم يخرج بدوره من اليسار. برهة يدخل كارل دافعا أمامه كاترينا).

كارل : معا الآن!

كاترينا : ما دامت السيدة مارتا. ما الذي تريد مني أن أقول لك؟ حقيقة هانس لم يقضي ليلته في البيت. لقد زار خليلته، ولم أستطيع قوله لك. لأنه سر.

كارل : لقد أنهينا الغش يا كاترينا!

كاترينا : لقد قلت لك الحقيقة وإن لم تصدقني اسأل هانس!

كارل : أتتخذينني هزئا؟ إنك تعرفين اليقين أين قضى هانس ليلته : ألم تكن في المسرح القديم!

كاترينا : ليس صحيحا! ليس هانس! أقسم لك بهذا! إما كذبك القول بيتز أو مفتشه أخطأ. أنت تعلم في الظلام ومع القنابل النازلة نكون مجبرين على حمل أباجور داخل رؤية الشبح!

كارل : وشرفي. ستدفعين جرد الكذب إلي وإلى بيتز. هذا ما قاله لي تحديدا بالهاتف، بعد أن قال : نعتذر لأننا أزعجناك بدون سبب.

كاترينا : وما ذا بعد؟...

كارل : رأيتك تراجعت : في اللحظة التي تراجع فيها بيتز عن كلامه، لم يبقى شيئا بالنسبة لك تخشينه؟

كاترينا : بالعكس كارل، الآن فقط بإمكاني أن أقول لك كل شيء (تتحرك فكرة بخلدها فجأة) ولكن لما تراجع؟

كارل : لو كنت أعلم ذلك؟ والآن، قولي كل شيء! ما علاقة هانس بالفارين في تلك الليلة؟

كاترينا : الأول هو الدكتور فرانتز هوبنر، أحد أقدم أصدقائه...

كارل : (يقاطعها) الهارب الثاني هو الذي يهمني! الفار!

كاترينا : هذا الفار طبيب أيضا، أكثر من هذا جراح وشيخ الأطباء.

كارل : زعيم شيخ الأطباء!

كاترينا : وبمصداقية كبيرة أيضا، كان فرنتز تلميذا له، قبل الحرب في باريس، وهو بالطبع الذي قدمه لهانز.

كارل : إنك تهذين، لا؟ إنه يعرف من أين خرج هذا الفار؟ ومن أين هربه فرونتز هوبنر؟ بكل تأكيد أنت لا تعرفين!

كاترينا : بلا، من مراكز الحجز!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كـارل : بجانب مطعم بكل تأكيد!
كاترينا : بل عرفه هانس بالمستشفى...
كـارل : فلنتحدث! في المستشفى، أين فرنتز هوبنر وبعد فراره، خبأه ومرره على أساس أنه طبيب ألماني! (يدخل ولتر) والآن قول لي ما الذي كان يريد فعله هذان السيدان بصناديق المتفجرات التي أكتشفها بيتز؟
كاترينا : عذرك سيدي شيخ المخبرين، هذه الصناديق لاتهم في أي شيء هؤلاء الفارين (يوشوش في أذنها)
كـارل : نعم، نعم، بالتأكيد، ولكن تيقني أن ولتر وبيتز سيتكلفان بأرعنين هانس..
ولتـر : ما دام بينتز أبرأه من القضية...
كـارل : هذا تغير في الرأي لا يعجبني أبدا! (يتخذ قرارا مفاجئا) أريد ولاء تاما. ولتر إذهب حالا إلى الغستابو. وابلغ تعليماتي إلى المفتش رولر بملء فاك وبدقة متناهية، ودفعه الثمن كاملا، ثم أريد أن أفهم لماذا تراجع دن الشحم بيتز ذاك وبدأ في الطهي على نار هدئة. وعد لي بكل المستجدات هنا.
ولتـر : أمرك سيدي! (يهم بالخروج ثم يعود) أريد أن أخبرك أن حضرة الوزير على علم بالمذكرة التي حضرتها لك بخصوص هذه القضية...
كـارل : أتمنى ألا يكون تحدث عن هانس؟
ولتـر : بالتأكيد لا سيدي، ولكن السيد بادنتي في الحديث في الوقت نفسه، على أن الجنرال جنشتاين حدثه عن الدجال الفار من المستشفى.
كـارل : هل الجنرال جنشتاين على علم بهذا؟
ولتـر : يبدوا ذلك. على الرغم من أن حضرة الوزير أملاني أيضا معلومة أخرى موجزة بخصوص بيتز : لقد طالت هذه القضية وأخذت وقتا أكثر من اللزوم، وإذا كانت الفرص لم تسنح للإنهاء من هذا الفار يجب خلقها.
كـارل : شكرا ولتر، هيا إذهب (يخرج ولتر) هل هانس على علم بأن بيتز أقسم أن ينال من هذا الفار؟
كاترينا : (بطريقة هامة) بالتأكيد. هناك أشياء تتجاوزه : مفهوم الإنسانية.
كـارل : (يصفر) ألك هذه المعادلة!
كاترينا : ولما لا؟ أتدعى بأنه دجال إلاّ لأنه داوى الألمان.أنت لا تعلم بأن هناك رجال شهم وتفكيرهم راق جدا، والشقاء عدوهم الوحيد؟ والدم دوما دم بالنسبة للذين لا يعتقدون في الخرف، وبأمثولتكم العرقية...
كـارل : واصلي، لما توقفت؟ ألك أيضا هذه المقطوعة العميقة كالفاكهة الطازجة؟
كاترينا : إنها لهانس.
كـارل : ألأن هانس يراها على هذا النحو؟
كاترينا : نعم يرها على هذا النحو، لأن السيد البروفيسور يراها على هذا النحو أيضا.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كـارل : حمقاء! ها أنت تؤمنين بحكايات الجنيات التي يتحدث بها هذا المتشدق!

كاترينا : (مقهقة) لا تصدقني إن قلت لك أن السيد البروفيسور نفسه جنية!

كـارل : ما الذي دهاك؟

كاترينا : أتعلم بأن التمثال الرخام الذي نحت لسيادة الوزير كان على صورته، النسخة تطابق الرجل الأسمى؟ بالاحتكاك بهذه الجنية تم تحويلها أو بالأحر تأججت كالدخان.

كـارل : لا أصدق كلمة واحدة مما تقولين، ثم اذهبي للبحث عنه!(كارينا تذهب إلى غرفة هانس، تطرق الباب، تتجمد أمام العتبة، باهتمام أكبر ثم تغلق الباب وتعود إلى كارل)

كاترينا : إنه يتحدث عن الصغير فيسلر وبصوت رفيع، لست أدري ما الذي أصابه؟!

كـارل : عن الصغير فيسلر؟

كاترينا : نعم، وبكلمات غير مفهومة!

كـارل : سأشرح لك هذا فيما بعد. (بنبر عذب) أيعلم هانس بأنك مغرمة به؟

كاترينا : لم يفكر في هذا الأمر على الإطلاق، ومن ناحيتي لم أصارحه أبدا، ثم ما الذي ترده؟!

كـارل : أريد معرفة إمكانية الاعتماد عليك (زمن) الصغير فيسلر والسيد البروفيسور، إنهما من نفس الطينة بالنسبة لهانس..أسمعتي، كلمة واحدة مما قلناه إلى فريدريك وسننسف جميعا، التزمي الصمت!

كاترينا : من هذه الناحية لا تخف لكن من يضمن بيتز؟

كـارل : أمره بيدي! (نسمع زمجرة صفرات الانذار) هيا!

كاترينا : (بحنق مأسوي) قل لي هل سيبدأ ؟!

كـارل : تأكدي من أن هذا الأمر سينتهي في أقل مما تتصورين!

كاترينا : أفصح!؟

كـارل : الأحداث تسير بسرعة بالغة، ويمكن أن تحدث أمورا لم تكن في الحسبان! (بغتتة.) جيب أن أتحدث إلى هانس، أنا متأكد على أنه بالإمكان الاعتماد عليك، لأنه عنيد أكثر من والده ومتصلب أكثر من أمه... (كارل يطرق باب هانس يهم بالدخول عليه غير أن كاترينا تقاطعه، يغلق الباب ورائه)

كاترينا : ألا يزال يتحدث عن الصغير فيسلر؟

كـارل : نعم متزمت أكثر من أمه، عنيد أكثر من والده،لكن...

كاترينا : ماذا؟

كـارل : إنه جالس على سريره يبكي، ورأسه بين يديه.(نسمع صفرات الإنذار، ثم الأسود.)

العنوان الأصلي المسرحية : Le dernier jourd'un nazi

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com